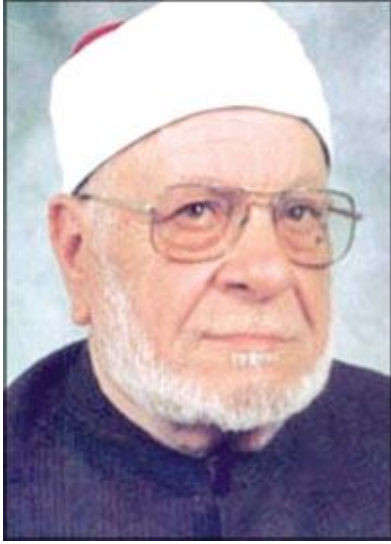


شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر حسن الشناوي لـ «الراي»: جهود الكويت في تعميم الثقافة الإسلامية يجب الاحتذاء بها



القاهرة - من داليا جمال طاهر:
أكد شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر فضيلة الشيخ حسن الشناوي أن التصوف رياضة نفسية، ينالها من أدرك حلاوة الإيمان، وذاق طعم اليقين، وعلم أن سبيله إلى الله في تنقية نفسه من أدران الحياة وثوابتها. وأشار الشيخ الشناوي في حوار مع «الراي» إلى أن الكويت تضطلع بدور كبير في الثقافة الإسلامية من خلال جهود مشكورة، وهو أمر يجب أن يحتذى به في باقي الدول العربية والإسلامية، وفتحاً ليران تصريحاته وإجاباته تجاه الرئيس الأميركي جورج بوش والذي قال انه يحارب الإسلام.

شيخ مشايخ الطرق الصوفية وشيخ عموم السادة الشناوية الأحمدية ورئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر فضيلة الشيخ حسن الشناوي التقته «الراي» في حوار شامل عن التصوف والصوفية والأحوال في المنطقة والعالم... وكان هذا الحوار:
• بداية كيف ترون الجهود التي تبذلها الكويت لدعم الثقافة الإسلامية؟
- نتمنّ الجهود المخلصة التي تبذلها دولة الكويت من أجل تعميم الثقافة الإسلامية ونشرها عبر الكتب والمطبوعات والمسابقات المختلفة، التي يستفيد منها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وهي تجربة يجب الاحتذاء بها.

• لغط كثير يثار حول النسب بـ «آل البيت» فما رأيكم؟

- يتمثل في هذه القضية «غير الجادة» قول الشاعر:
ليس الفتى من يقول كان أبي إن الفتى من يقول ها أنا ذا.

والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة ترفض التمييز على أساس النسب، والعلاقة بالرسول «صلى الله عليه وسلم».

فالله تعالى يقول: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، وفي الحديث: «الناس عند الله سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»، «يا فاطمة بنت محمد، اعلمي فلا أغني عنك من الله شيئاً».

• وخارجياً... ما تقييمكم لمحاولات التقسيم على أسس طائفية ومذهبية في العراق ودول عربية وإسلامية أخرى؟

- إن ما أضع المسلمين، ونزع عنهم هيبتهم ووقارهم، مثل هذه المنازعات التي تفرق ولا تجمع، وتشنت ولا توحد، تلك التقسيمات هي التي أهدرت كرامة المسلمين، وسلبت عنهم العزة والكرامة.

• ما تقييمكم لما أعلنه الرئيس الأميركي جورج بوش من أنه يحارب ما أسماه بـ «الفاشية الإسلامية»؟

- جورج بوش لا يحارب سوى الإسلام، وقبل أن ننقد غيرنا، ونطلق التصريحات علينا أن نصلح من أحوالنا، وليكن لدينا النية الصادقة للمواجهة مع من يحاولون النيل منا، ويتدخلون في شؤوننا.

• ظهرت تعريفات متعددة عن حقيقة التصوف ومضمونه، ولكن ما هو تعريفكم الدقيق له؟

- التصوف ليس بدعة مستحدثة، بل هو مستوحى من حياة الرسول «صلى الله عليه وسلم» حتى التي كان يعيشها، قبل تكليفه بالرسالة، فكان «صلى الله عليه وسلم» يقطع عن الناس، ويعتزلهم في «غار حراء» يفكر في ملكوت السموات والأرض، واستمر هذا المنهج الحياتي سلوكاً للنبي الكريم وصحابته والتابعين ولكن فكرة التصوف تبلورت في شكلها الحالي مع نهاية القرن الثاني الهجري.

• وما توصيفكم لفكرة «مجاهدة النفس»؟

- التصوف في جوهره الدقيق هو مجاهدة النفس، والانتقال بها من حالة إلى حالة، كالانتقال من مرحلة «النفس الأمارة» إلى «النفس اللوامة» إلى «النفس المطمئنة» إلى «النفس الراضية» إلى «النفس المرضية»، وتلك المجاهدة أمرنا بها النبي «صلى الله عليه وسلم» حين قال لأصحابه عند عودتهم منتصرين من إحدى الغزوات: «لقد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فاندھشوا من قوله، ورددوا في نفس واحد: «كيف» وقد حملنا رؤوسنا على أكفنا جهادا في سبيل الله، فأردف قائلا: «جهاد النفس».

والصوفي يجاهد نفسه، ويقاوم ملذات الدنيا ويسقط شياطينها، رغبة منه، في الوصول إلى درجة الإحسان، التي وصفها الرسول الكريم بقوله: «أن تعبد الله، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

والإنسان عندما يصل إلى تلك الدرجة، لا يعرف نمشا ولا خداعا ولا نفاقا ولا كذبا ولا تدليسا، ولا يفعل شيئا يغضب الله ورسوله الكريم.

• وماذا عن المسميات والألقاب التي تسبغونها على «الصوفي»؟
- المسميات كثيرة ومتنوعة، ومن المأثور في ذلك: «الصوفي، كالأرض، يلقي فيها كل قبيح، ولا تنتج إلا كل مליح»، وقال آخر: «الصوفي كالأرض، يسير فوقها الفاجر والطائع» والمعنى: أن الصوفي هو من يتحمل غيره، ويعامل الناس بتواضع، كما جاء في قوله تعالى: «ولا تمش في الأرض مرحا، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا»، وقوله: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما».

و«الصوفي» سُمي «صوفيا» لصفاء نفسه، وقيل: لارتدائه الصوف، وهو لباس الأنبياء والأولياء.

والصوف، الذي كانوا يرتدونه قديما، كان خشنا، فلا يمكنهم من الاستغراق في النوم لفترات طويلة، حتى لا ينشغلوا عن ذكر الله.

وقال آخرون: الكلمة مأخوذة من «الصقة» حيث كان يجلس على عهد النبي «صلى الله عليه وسلم» بعض الصحابة على «الصقة» وهي أشبه بـ «المصطبة»، وكان مقرها الحجرة النبوية، وكانوا يعتلونها لتلاوة القرآن الكريم.

• ولكن لماذا تعددت الطرق الصوفية، ولم تظل طريقة واحدة؟
- جميع مريدي الطرق الصوفية متفقون على طاعة الله ورسوله المصطفى «صلى الله عليه وسلم» وان كانت هناك اختلافات، فهي فرعية بسيطة، ليست لها علاقة بالجواهر أو المضمون.

• وما هي طبيعة الدور الذي تقوم به مشيخة الطرق الصوفية؟
- تهتم مشيخة الطرق الصوفية بمتابعة نشاط شيخ كل طريقة، وتوجيهه إن قصر، وتوجيه أتباع الطرق نحو السلوك الطيب المستنير، الذي يتوافق مع كتاب الله، وسنة نبيه الكريم، ويتعارض مع الخرافات، التي يأبأها العقل والدين.

وتمد المشيخة محفظي القرآن الكريم التابعين لها بمعونة رمزية شهرية، تعينهم على حوائج الحياة، وتعقد المشيخة الندوات والاحتفالات في جميع المناسبات الدينية، وكذا المؤتمرات الخارجية مثل التي عقدت في الجزائر وليبيا والمغرب ومالي وماليزيا.

• ما هو تصوركم لوضعية التصوف في النسق الإسلامي؟

- الشريعة الإسلامية عبادات، كأركان الإسلام ومعاملات، كالبيع والشراء والرهن والتجارة وأخلاقيات كالصفاء والود والكرم.

والتصوف يجمع كل هذا، ويزيد عليه بالاتصال، الذي يأمر العبد بمجاهدة النفس ودوام التواصل مع الله سبحانه وتعالى، والانشغال بذكره، أثناء الليل وأطراف النهار، والنظر في آلائه ومخلوقاته ومراقبته في الخلوات والجلوات والسر والعلن، والصوفي يحب أن يراه الله حيث يأمره، ويفتقده حيث نهاه.

• هل تنحصر الصوفية في المواظبة على أداء العبادات، مع الانقطاع عن الحياة العامة؟

- الصوفية تنصح بالمواظبة على أداء العبادات وحسن المعاملة مع الآخرين، وحسن التواضع لهم.

• وهل يجب أن يظل الصوفي منعزلاً ومتواكلاً؟

- الصوفي لا يعيش في عزلة وليس متواكلاً، بل يتوكل على الله كما أمره. كما قال النبي «صلى الله عليه وسلم» لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتعود بطاناً».

وفي سورة الملك يقول تعالى: «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» «الآية 15»، وفي سورة الجمعة «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله» «الآية 10».

وكبار الصوفية لم يكونوا عاطلين بل كانوا أصحاب حرف، فمنهم «الصانغ والصباغ والوراق» وسيدي «ابراهيم الدسوقي» كان يصنع الفخار، ويأمر أبناءه بالعمل، وله في ذلك قول مأثور: «من كان عاملاً تقياً ورعاً قاهراً، فهو من أبنائي، وان لم يكن من صلبى ومن لم يكن كذا وكذا فليس من أبنائي وان يكن من صلبى».

• دائماً يؤخذ عليكم إقامة الموالد بطقوسها الشاذة والغريبة والمنفرة أحياناً؟
- في الموالد، يجتمع الأحاب، ويتدارس المريدون مسيرة وليهم ليتعلموا منه، كما قال القائل: «فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح»، وفي الموالد يُقرأ القرآن الكريم، ويذكر الله، ويُطعم الفقراء والمساكين وما يحدث من سلوكيات مشينة، كاختلاط الرجال بالنساء، فليس من التصوف في شيء، ولا علاقة لنا به وأعلن رفضي واستنكاري له.

- وهل للأولياء كرامات كما تقولون؟
- الكرامة ليست كالمعجزة، فالأخيرة اختص الله بها الأنبياء، أما الكرامة فهي نذر يسير من النبوة، قد يصيب الله بها عباده المخلصين. وقديما قالوا: «المعجزة كإناء مملوء بالعسل، والقطرات التي تنساب منه هي الكرامة».
- وهل يجاهد المتصوفون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم؟
- للمتصوفة تاريخ نضالي رائع في الدفاع عن مقدرات الوطن، فقد تصدّوا للحملة الفرنسية في المنصورة تحت زعامة سيدي «أحمد البدوي» وسيدي «أبو الحسن الشاذلي» - الذي كان كفيف البصر - فكانا يحرضان أتباعهما على الجهاد ليلا، وحققوا النصر، وأسروا القائد الفرنسي «لويس التاسع».